

## الفصل الثاني

### (الخريطة المذهبية وتقسيماتها في خراسان)

- أهل السنة والجماعة .
- الشيعة .
- الخوارج .
- المعتزلة .
- الصوفية .
- الكرامية .

بعدما أنهينا الحديث في الفصل الأول عن الصراعات الاجتماعية وأسباب قيام الصراع بين الطبقات والشرائح وأثره على الحياة الاقتصادية، كان لهذا الصراع أثر آخر لكن على الناحية المذهبية، أي أن الصراعات الاجتماعية بين طبقات وشرائح المجتمع قد تولد عنها صراع بين المذاهب المختلفة، وسوف نحاول بقدر الإمكان إثبات ذلك من خلال الفصول القادمة في فترة محل الدراسة، لكننا سوف نبدأ الفصل الثاني بتوضيح الخريطة المذهبية وتقسيماتها في خراسان وبداية انتشارها من أجل تكوين خلفية عامة لتفسير الصراع المذهبي.

### مذهب أهل السنة والجماعة:

عرف أهل الجماعة أو الجماعة في التاريخ الإسلامي، بأنهم الجمهرة الكبرى من أهل الإسلام الذين اجتمع رأيهم على مبايعة أبي بكر وعمر وعثمان من بعدهما، ثم عندما آل الأمر إلي بني أمية دخلوا في طاعتهم، ثم عرف هؤلاء كحزب وأطلق عليهم اسم "أهل السنة والجماعة" إلا أنه شمل الخاصة دون العامة أي السلف الصالح من أهل الفقه والحديث<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة عند أهل السنة تحتل أحد معنيين إما أن تكون بمعنى الطريقة أي أن أهل السنة اتبعوا طريقة الصحابة والتابعين في تسليمهم بالامتثابات من غير خوض دقيق في معانيها، وأن تكون السنة بمعنى الحديث بأنهم يؤمنون بصحيح الحديث ويقرونه من غير تأويل كثير<sup>(٢)</sup>.

وبقيام الخلافة العباسية أعلن المذهب السني هو المذهب الرسمي للدولة، وبالتالي عم هذا المذهب معظم أرجاء الولايات، ولاسيما إقليم خراسان الذي كان مهد الثورة العباسية، بل وأصبحت الدولة العباسية متعصبة لهذا المذهب

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٣٠٠-٣٠١؛ أحمد رمضان، الخلافة في الحضارة الإسلامية، ط. القاهرة دت، ص ١٥٦.

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط. القاهرة ١٣٢١ هـ، ص ٧؛ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط ١ مكتبة النهضة. القاهرة ١٩٥٥ م، ج ٤، ص ٩٦.

ويمثلون الأكثرية أي حزب الأغلبية.

حتى إن هاملتون جب<sup>(١)</sup> قد شبه قيام الدولة العباسية بتحالف ولايتي خراسان والعراق حيث أن غالبية سكانهما (باستثناء الكوفة) من السنة الأمر الذي أدى إلى قيام تحول مذهب وفكري في العالم الإسلامي. ومن ثم ينقسم أهل السنة إلى قسمين الأول يسمى الأشاعرة، والثاني يسمى الماتريديّة.

فالأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ/ ٨٧٣ - ٩٣٥ م) وهو على بن إسماعيل بن اسحق بن سالم بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري وأول من خالف أبو علي الجبائي(\*) ورجع عن مذهب المعتزلة، حيث كان مناصراً للشافعي فانتشر مذهبه في خراسان والعراق والشام، وقد وافق على عقيدة الأشعري المالكية والشافعية<sup>(٢)</sup>.

أما الماتريديّة: نسبة إلى الإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وأصله من ماتريد محله بسمرقند (ت: ٣٣٣ هـ/ ٩٤٤ م) وانتشر مذهبه في بلاد ما وراء النهر وخراسان، وهو قريب من المذهب الحنفي بل إن مذهب الإمام أبي حنيفة هو عقيدة الماتريديّة<sup>(٣)</sup>.

ومن أشهر علماء الماتريديّة "أبو القاسم بن محمد بن الحكيم السمرقندي

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس ومحمد يوسف، ط ٣ دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٩ م، ص ٩٢

\* أبو علي الجبائي: هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصري شيخ المعتزلة، وكان رأساً في علم الكلام، واخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري، وله مقالات وتصانيف مشهورة، واخذ عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري صاحب المذهب السني المعروف (ت: ٣٠٣ هـ) (انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٠٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ط ١. دار الكتب العلمية-بيروت ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م، ج ٣، ص ٢١٠).

(٢) أبي عذبه، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريديّة، ط ١ مجلس دائرة المعارف النظامية- حيدر آباد. الهند ١٣٢٢ هـ، ص ٣، ٤

(٣) أبي عذبه، المصدر السابق، ص ٤؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مجلد الأول، ترجمة محمود فهمي حجازي، ط السعودية ١٩٨٣ م، ج ٤، ص ٤٠.

الماتريدي"، تولى القضاء بسمرقند زمنأ طويلاً، حيث كان مشتغلاً بمسائل الكلام أكثر من الفقه وتوفى (٣٤٢هـ / ٩٥٣م)، ويعد كتابه "السواد الأعظم على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة" هو أقدم مختصر في مذهب الماتريدي في علم الكلام<sup>(١)</sup>.

أما المذاهب السنية الرئيسية الأربعة فهي الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، لكل مذهب فقهه وآراؤه، ومما لاشك فيه أن اختلاف آراء أئمة المذاهب الأربعة قد جعل نوعاً من التنافس في أنحاء العالم الإسلامي والمشرق خصوصاً؛ لذلك سوف نوضح الأماكن والأقاليم التي انتشرت فيها تلك المذاهب في خراسان وأيهم أوسع انتشاراً.

### المذهب الحنفي:

فنبداً بهذا المذهب بما أنه مذهب الخلافة العباسية الرسمي، فضلاً عن انتشاره في كل بلد أو ولاية كان للعباسيين سلطان فيها، غير أن بعض البلاد تغلغل فيه بين الشعب وبعض البلاد كان فيه المذهب الرسمي من غير أن يسود بين الشعب في العبادات ولا سيما في العراق وما وراء النهر و خراسان والبلاد التي فتحت في المشرق المذهب الرسمي ومع ذلك كان مذهباً شعبياً<sup>(٢)</sup>.

أما عن انتشاره في خراسان فيقول المقدسي إن للمذهب انتشاراً كاملاً في إقليم خراسان إلا في كورة الشاش وطوس ونسا وأبيورد، وقد ساد مذهب الإمام أبي حنيفة في مدينة مرو، حيث كانت له مدارس فقهيه يدرس فيها المذهب<sup>(٣)</sup>.

إلا أن المقدسي قد جعل مدينة الشاش إحدى مدن إقليم خراسان، فهذا

---

(١) أبي عذبة، الروضة البهية، ص ١٠؛ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٣م، ص ٣٠، ٢٨٨، ٢٨٧.

(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ط دار الفكر العربي د.ت، ص ١٧٢.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٢٣، ٣١٠.

كتقسيم جغرافي غير صحيح ؛ لأن مدينة الشاش إحدى مدن إقليم ماوراء النهر والتي كان بها المذهب الشافعي له ظهور قوي، لكن من الناحية الإدارية كانت مدن ماوراء النهر مضمومة إلى والي خراسان .

وقد كان للمذهب الحنفي في خراسان شيوخ وفقهاء نشروا المذهب وأسسوا المدارس منهم شيخ الحنفية بخراسان "زكريا بن يحيى النيسابوري" الفقيه العابد والذي توفي ٢٩٨هـ/ ٩١٠م<sup>(١)</sup>، وفقهه نيسابور القاضي "أبو الهيثم محمد بن جعفر بن إسماعيل" وقد أخذ عنه فقهاء نيسابور مثل القاضي "أبو محمد الناصحي" (ت: ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) والقاضي "أبو العلاء صاعد بن محمد الإستوائي" \*، ومن أشهر فقهاء الحنفية أيضاً في نيسابور "أبو الحسين قاضي الحرمين" و "أبو سهل الزجاجي" وتفقه عنهما شيوخ الحنفية في خراسان<sup>(٢)</sup>.

### المذهب الشافعي

بعد انتشار المذهب الشافعي بالعراق ومكة والشام، اتخذ الشافعية بعد ذلك من إقليم خراسان مقاماً، وخصوصاً مدينة نيسابور، ولاشك أنهم في تخريجاتهم متأثرون ببيئتهم المختلفة والأحداث التي تنزل بهم، وطرق علاجها ولاشك أن ذلك يدعو إلى اختلاف الآراء، ولو تم النظر إلى آراء فقهاء خراسان وتم تحليلها على ضوء ذلك لوجدنا أثر البيئة واختلاف النزعات، ومنهم من كان يتقيد تقيداً شديداً بالفروع المأثورة عن الشافعي، ومنهم من لا يتشدد في التقيد، وإن وجود الشافعية بخراسان جعلهم يتصلون

---

(١) الذهبي، دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل، ط ١ دار صادر بيروت ١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٧٠  
\* القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد الاستوائي: هو من أعلام الحنفية في عصره ووصل لرياسة الحنفية بخراسان وظل في خدمة الغزنويين، وتولي القضاء نيسابور ثم اختاره السلطان محمود الغزنوي مريباً لولده مسعود، وقد اعتزل الحياة السياسية عام ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م. (أنظر: البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٦٠٤)

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط دار الرائد العربي- بيروت ١٩٧٠م، ص ١٤٥

بالشيعة الإمامية<sup>(١)</sup>.

ويذكر المقدسي<sup>(٢)</sup> بعض المدن التي انتشر بها المذهب الشافعي مثل داندانقان\* وسرخس\*، ولكن الغلبة لهم كانت في مدينة نيسابور، وللمذهب الشافعي أيضاً وجود بمدينة مرو حتى أن الإمام" أبو زيد محمد بن أحمد بن عبدالله المروزي" (ت: ٣٧١هـ/ ٩٨١م) هو حافظ للمذهب الشافعي بمرو وعنه أخذ "أبو بكر القفال المروزي"<sup>(\*)</sup> وفقهاء مرو، كذلك أخذ فقهاء نيسابور عن "أبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكي"<sup>(\*)</sup> (ت: ٣٩٦هـ) حيث كان فقيهاً أدبياً شاعراً متكلماً<sup>(٣)</sup>.

وقد قاسموا في خراسان الحنفية في الفتوى والتدريس، مع أن المذهب الحنفي كان له سلطان؛ لأنه مذهب الدولة العباسية فكان للمذهب الشافعي شعبية كبيرة لدرجة أنه تمت صراعات ونزاعات بين أصحاب الفريقين في خراسان وما وراء النهر، فالخلاف يقع بين الفريقين في مناظرة يتنازعان أطراف الأدلة<sup>(٤)</sup>.

ولقد تضافرت الأسباب لانتشار المذهب الشافعي بهذه البلاد منها العلماء ونشاطهم، مثل الإمام محمد بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي

---

(٣) محمد أبو زهرة، الشافعي حياته وعصره، آراؤه وفقهه، ط دار الفكر العربي- القاهرة ١٩٤٨م، ص ٢٧٤

(٤) أحسن التقاسيم، ص ٣٢٣

\* داندانقان: هي مدينة صغيرة محصنة بباب واحد، وهي أحدي مدن مرو الشاهجان. (المقدسي، المصدر السابق، ص ٣١٢)

\* سرخس: هي مدينة كبيرة عامرة وهي مضافة إلى مرو وهي بلد مشهورة بتجارة الحبوب. (المقدسي، نفسه، ص ٣١٢-٢١٣)

(\*) القفال المروزي: هو أبو بكر عبد الله بن أحمد الفقيه الشافعي المعروف بالقفال المروزي كان وحده فانه فقيهاً وزهداً وله في مذهب الإمام الشافعي وهو شيخ والد إمام الحرمين وكان يعمل في الأقال؛ ولذلك قيل له القفال ت: ٤١٧هـ (انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٣١)

\* أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي: هو فقيهاً أدبياً شاعراً متكلماً مفسراً صوفياً وعنه أخذ أبو الطيب وفقهاء نيسابور وتوفي عام ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م. (انظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ١١٥)

(١) الشيرازي، المصدر السابق، ص ١١٥

(٢) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص ٢٧٢، ٢٧٥

(ت: ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) الذي أدخل المذهب الشافعي في بلاد ما وراء النهر، فضلاً عن الإمام "الحافظ عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي" الذي أظهر مذهب الشافعي بمرو وخراسان بعد "أحمد بن سيار" والسبب في ذلك هو خروج الإمام عبد الله المروزي (ت: ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) إلى مصر فأدرك الشيخ "الربيع بن سليمان المرادي" شيخ من شيوخ الشافعية الكبار في مصر فتعلم على يديه وعلى غيره من أصحاب الشافعية<sup>(١)</sup>.

وانتشر المذهب الشافعي في إيران إنتشاراً كبيراً، كما ثبت للأصول الأشعرية أقدامها في إيران حتى القرن الربع الهجري<sup>(٢)</sup>. يتضح مما سبق أن المذهبين الحنفي والشافعي كانا هما المذهبان الرئيسيان في بلاد خراسان ومما وراء النهر، إلا أن المذهب الحنفي كانت له غلبة نوعاً ما بسبب أنه المذهب الرسمي للخلافة العباسي، أما عن قول أحد المؤرخين<sup>(٣)</sup> بتثبيت الأشعرية أقدامها، فهذا راجع إلى أن الأشعرية شافعية ومناصرون لمذهب الإمام الشافعي، بل أصبح المذهب الأشعري هو المذهب السياسي للدولة لمحاربة معارضيها . كيف؟

لقد اختلفت نظرة كل من الأشاعرة والحنفية لإرادة الإنسان والعقل أو ارتباط العلة بالمعلول، فالأشاعرة قالوا بافتراق الإرادة عن الإنسان فالخير والشر من عند الله وليس للإنسان أي تدخل أي أنه مسير، وعلى النقيض الآخر يري الإمام أبو حنيفة أن هناك ارتباطاً بين الإنسان وإرادته حيث من الممكن أن يكفر الإنسان بربه أهذه إرادته؟! أم يقول الله لو أراد لي الإيمان لآمنت، فهذه تعد سلباً لقدرة الإنسان، وعلى طريقته سار المعتزلة الذين أولوا النصوص وجعلوها تتماشى مع العقل والواقع، وبناء على تلك المعتقدات من جانب الأشاعرة في سلب الإرادة الإنسانية، فيمكن التأكيد على حقيقة واقعة

---

(٣) نفسه، نفسه، ص ٣٧١

(٤) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ص ١٥٣

(١) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ص ١٥٣

لها أثر فكري سياسي على الخلافة العباسية وأمراء وسلاطين الدويلات المشرقية، ألا وهي أن سلب الإرادة يتيح للخلافة وفقهائها بفعل ما يحلو لهم من اضطهاد وقمع ومصادرة الآراء تحت اسم قضاء الله وقدرته، مما يعني تبرير السياسات الجائرة للحكام. وهو أسلوب متبع ضد الشيعة والمعتزلة والخوارج والقرامطة، فتارة اتهامات بالإباحية والإلحاد، وتارة أخرى بالزندقة.

ومصادفاً لذلك هو أنه ليس من الغريب أن يساند الإمام أبو حنيفة النعمان- وهو فقيه مذهب من المذاهب السنية الأربعة- أئمة الشيعة بالرغم من اختلافهم، ولكن الحس السياسي العالي لدى الإمام أبي حنيفة جعله يتعاطف ويؤيد العلويين في ثوراتهم ضد الحكم الأموي أو العباسي وظهر ذلك جلياً في ثورة "محمد النفس الزكية" وأخوه "إبراهيم الإمام" في المدينة والعراق عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وأيضاً تأييده لثورة وخروج "زيد بن علي" على الخليفة "هشام بن عبد الملك" بالكوفة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م وقوله: "خروج زيد يضاهي خروج رسول الله يوم بدر" وكانت هذه الآراء الجريئة مع ميوله العلوية من غير تشيع سبباً في ألا ينظر إليه الخليفة المنصور نظرة رضا بل يترصده ويبيت العيون حوله<sup>(١)</sup>.

ويضيف آدم ميتز<sup>(٢)</sup> أن المذهب الحنفي بفضل مرونته أكثر ملائمة للحكومة الفاطمية الشيعية التي كانت تظل الأحناف برعايتهم دون مصادرة. وبالمثل الشافعية في بعض الفترات قد مالوا لمساندة الشيعة الإمامية الإثنا عشرية- سيأتي ذكرهم فيما بعد- ضد ثورة الحكام، حيث كان بعض السنيين يعيرون الإمام الشافعي بتشيعه لآل البيت بقولهم له يا رافضي، فكان يجيبهم عن ذلك بهذا البيت:

---

(١) ابن الطقطقي، الفخري في الأداب السلطانية، ص ١٢٨؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ط. دار بيروت ١٩٤٨م، ج ١، ص ١٦٣؛ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨.  
(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ١، ص ٢٩٧

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي<sup>(١)</sup>

من هذه النصوص يتضح مدى انفتاح وعقلانية المذهب الحنفي، وفي فترات الشافعية، لكن اتخاذ الخلافة العباسية المذهب الحنفي مذهباً رسمياً لهم كان شكلياً فقط، لأن الأشعرية هي المذهب السياسي للخلافة وحراسها في المشرق.

### المذهب المالكي

بالرغم من أن ذكر المذهب المالكي في خراسان لم يأت عند كثير من المؤرخين، فلم تتحدث المصادر عن وجود أو دور بارز للمالكيين في خراسان، إلا أن هناك ثمة إشارة عن وجود شكلي للمذهب المالكي إلي جوار نظيريه الحنفي والشافعي، ولاسيما في مدينة نيسابور، والإشارة تقول بظهور جماعة يقولون بمذهب أهل المدينة أي مذهب الإمام مالك<sup>(٢)</sup>، لكن هناك بعض المؤرخين<sup>(٣)</sup> من يؤكد بخلو خراسان من المذهب المالكي.

إلا أنه من المرجح أن يكون للمالكيين وجود في خراسان، لكن ليس ظاهر أي هم جماعة محدودة مناصرون للمذهب المالكي، والأمر الذي يعضد ذلك عدم ذكر المصادر لأئمة والشيوخ الذين نشروا المذهب في خراسان، الأمر الذي يؤكد عدم وجود غلبة أو ظهور قوي لهم.

### المذهب الحنبلي

بالرغم من قوة رجال الفقه الحنبلي لم يكن انتشاره مناسباً مع هذه القوة، وذلك لعدة أسباب أولها: أنه جاء بعد أن احتلت المذاهب الثلاثة التي سبقته الأمصار الإسلامية فكان الحنفي في العراق وخراسان، والشافعي في مصر

---

(٣) محمد أمين غالب، تاريخ العلويين، ط دار الأندلس-بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ١٩٠

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٦٧؛ محمد أبو زهرة: الإمام مالك، ط ٤ دار الفكر العربي. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٣٨٩

(٥) ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٧٨

والشام وخراسان، المالكي في المغرب والأندلس، أما ثانيهما : أنه لم يكن منه قضاة والقضاة إنما ينشرون المذهب الذي يتبعونه، ثالث هذه الأسباب هو شدة الحنابلة وتعصبهم وكثرة خلافهم مع العامة لا بالحجة والبرهان بل بالعمل، وكانوا كلما قويت شوكتهم اشتدوا على الناس باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ذكر ابن الأثير عنهم في سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م أن عظم أمر الحنابلة وصاروا يكبسون دور القواعد العامة، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آله الغناء واعترضوا في البيع والشراء، وإذا مشى الرجال مع النساء والصبيان، فإذا رأوا ذلك سألوه عن التي معه من هي؟ فأخبرهم وإلا ضربوه<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٣١٧هـ/٩٢٩م وقع بسبب تفسير قوله تعالى "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً" في سورة الإسراء فتنة عظيمة بين الحنابلة وغيرهم، ودخل فيها الجند والعامة واقتتلوا بينهم قتلى كثيرة<sup>(٢)</sup> وبسبب هذه الأعمال نفر الناس منهم ولم ينتشر مذهبهم إلا قليلاً.

تلك هي كانت خريطة لتوزيع مذاهب السنة في إقليم خراسان وتعريف بهذه المذاهب، لكن ظل الصراع والنزاع خصوصاً بين الشافعية والحنفية مستمراً لكن سنتحدث عنه تفصيلاً في المبحث الخاص عن الصراعات المذهبية.

### مذهب الشيعة

تعتبر الشيعة من أقدم الفرق الإسلامية، وقد وجدت هذه الفرقة بعد حادثة الخلافة ومبايعة أبي بكر الصديق حيث إنهم يرون أن علي بن أبي طالب أحق بالخلافة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه من الأقربين. إلا أن أدق تعريف للشيعة هو ما أورده الشهرستاني<sup>(٣)</sup> أن الشيعة هم

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٣٤٤

(٢) أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر، ط. القاهرة د.ت، ص ٧٤

(٣) الملل والنحل، ج ١، ص ١٤٦

الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً.

واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، ولا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلي العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب النص والتعيين وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الصغائر والكبائر<sup>(١)</sup>.

بالنسبة لنشأة هذه الفرقة هناك بعض المؤرخين أشاروا إلى قدم الشيعة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن لم تكن فرقة ذات مذهب سياسي كما أصبحت فيما بعد بل إن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه عدد من الصحابة لا يفارقونه وهم أهل زهد وتقشف مثل (أبي الدرداء ومعاذ بن جبل وأبي ذر الغفاري وبلال بن رباح) وأن الإمام شاركهم في خشونة الملابس والمأكول والرضا باليسير<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الشيعة كفرقة سياسية قد بدأت عندما بويع الإمام علي بن أبي طالب بالخلافة، وقد خالفه طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وأبياً إلا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما علي بن أبي طالب ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله، فتسمى من اتبعه على ذلك الشيعة، فكان يقول شيعتي<sup>(٣)</sup>.

أما عن انتشار التشيع في خراسان فقد بدأ منذ خروج الإمام علي بن موسى الرضا ثامن أئمة الشيعة الإثني عشرية في زمن المأمون، وقد نشر التشيع بين أهل خراسان فضلاً عن وجود كثير من الشيعة أصلاً بهما<sup>(٤)</sup>.

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ط٣. فيسبادن- ألمانيا ١٩٨٠م، ج ١، ص ٨٧

(٣) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ٤، ص ٣١٣؛ محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ط ٢.

لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٥٩م، ج ٢، ص ٥٩

(٤) ابن النديم، الفهرست، ط. الرحمانية مصر- ١٣٤٩هـ، ص ٢٤٩

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ط٤ مطبعة الإنصاف - بيروت ١٩٦٠م، ج ١، ص ٣٢

إلا أننا نري أن التشيع في خراسان قد ظهر منذ قيام الدعوة العباسية السرية وتجمّع الشيعة العلويين من أتباع الحسين حول الدعوة العباسية مطالبين بحقوقهم في الخلافة بما أن العباسيين أولاد عمومتهم من آل البيت، وكانت شرارة ثورتهم في خراسان تحت رئاسة أبي مسلم الخراساني، للتخلص من الحكم الأموي الجائر الذي اضطهد الشيعة ونكل بهم أشد تنكيل بل واتخذوا حقهم- قسراً- في الخلافة وجعلوها ملكاً وراثياً، وتكريس الظلم الاجتماعي بفعل وجود الإقطاع<sup>(١)</sup>

لكنّ هناك قضية تستحق المناقشة ألا وهي لماذا انتشر الشيعة ببلاد الفرس؟ وهل ارتبط التشيع بالفرس فقط؟

لقد انتشر التشيع في بلاد الفرس بشكل كبير وواضح إبان قيام الثورة العباسية، مدعين ومساندين تلك الثورة التي تخلصهم من حكم بني أمية الجائر، ولاسيما أن رجل الثورة الأول أبو مسلم الخراساني من أهل خراسان، ظناً منهم أن لهم حقاً في الخلافة بما أنهم من بيت واحد هم والعباس بن عبد المطلب.

ومن جانب آخر هو سبب جغرافي وهو بعد خراسان عن مركز الخلافة الأموية في دمشق والبعد أيضاً- فيما بعد- عن بغداد مركز الخلافة العباسية، مما يسهل عليهم القيام بحركات تمردية وثورية ضد الخلافة لمواجهة الجور والظلم بالإضافة إلى طبيعة المكان حيث إن معظم أقاليم بلاد فارس بها جبال ومرتفعات مما يصعب على الخلافة ومعاونيها من حكام أقاليم المشرق قمع الثورات الشيعية.

ويعضد هذا الرأي بارتولد<sup>(٢)</sup> قائلاً : "بأن الشيعة وجدت أرضاً ملائمة في إيران، وكانت مدينة قم<sup>(\*)</sup> مركزاً للعصية الشيعية منذ زمن بعيد ". أما

---

(٢) أبي حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٣٣٢ ؛ بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٩٨

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٩٨

(\*) قم : هي مدينة من إحدى مدن إقليم الجبال، فهي حصينة وعليها سور، واهلها كلهم شيعة . ( انظر: الاضطخري، المسالك والممالك، ط. لين ١٨٧٠م، ص ٢٠١ )

بالنسبة للشق الآخر من التساؤل هل ارتبط التشيع بالفرس فقط؟ فالفرس الذين دخلوا في الإسلام أولاً لم يكونوا شيعة، فضلاً عن أن كثيراً من علماء أهل السنة وإجلالهم من أصل فارسي كالبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم، ومن دخل من الفرس وتشيع فحاله حال كل من تشيع من سائر الأمم كالعرب والترك والروم<sup>(١)</sup>.

فقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين مثل (رادوفو - دوزي - ميولر - براون) إلى القول بأن الفرس هم من أوجدوا مذهب الشيعة في الإسلام وأظهروه كمذهب ديني وأنه رد فعل للفرس في مواجهة العرب، إلا أن بطروشفسكي وفلهاوزن صارا في الاتجاه القائل بعدم رد نشأة وارتباط التشيع بالفرس؛ لأن أوائل من شايعوا علماً كانوا من العرب<sup>(٢)</sup>.

وقد انتشر المذهب الشيعي في بعض مدن ر ر ر ر ر .  
نظراً بالطبع لغلبة المذهب السني وهو المذهب الرسمي للخلافة العباسية، والمذهب المتبع للسامانيين والغزنويين والسلاجقة<sup>(٣)</sup>، وكانت مدينة نيسابور بها بعض الشيعة<sup>(٤)</sup> و أيضاً مدينة هرات برغم غلبة المذهب السني الحنفي عليها<sup>(٥)</sup>.

وانقسمت الشيعة إلي عدة فرق، وقليل من هذه الفرق من كان له دور في المعارضة والثورة على الخلافة، حيث إن البعض منهم أثر الهدوء والمهادنة وعدم إثارة المشاكل مع الخلافة العباسية لضراوة قمع السلطة العباسية، ومن الشيعة ما هو متطرف أو فرق مغالية خرجت على الخلافة وعلى الدويلات

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ص ٤٩

(٢) بطروشفسكي، الإسلام في إيران، ص ٨٦، ٨٧

(٣) الإصطخري، المسالك والممالك، ص ١٥٤ ؛ آدم مئيز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ١٠٥

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣١٦

(٥) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ط ٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٣٩٦

التابعة للخلافة في خراسان، لكننا هنا سنشير الي أهم فرق الشيعة، الذين كان لهم دور في تغيير أحداث الصراعات المذهبية والاجتماعية والسياسية في المشرق عامة وخراسان خاصة.

الشيعة الإمامية: وهم الذين ساقوا الإمامة في ولد فاطمة وعلى بالنص عليهم واحداً بعد واحد، ويشترطون معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان، فالإمامة عندهم من على بن أبي طالب الوصي إلى ابنه الحسن بالوصية ثم الي أخيه الحسين ثم إلى ابنه على زين العابدين، ثم الي ابنه محمد الباقر، ثم جعفر الصادق، ومن هنا افترقوا فرقتين، فرقة ساقوها إلي ولده إسماعيل وهم الإسماعيلية، وفرقة ساقوها الي ابنه الآخر "موسى الكاظم" وهم الاثنى عشرية، لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة وهو محمد بن الحسن العسكري الذي اختفي بسر داب بسامراء وهي الغيبة الكبرى عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م ثم يعود لينشر العدل أي هو المهدي المنتظر<sup>(١)</sup>

وبالنسبة لنشاط فرقة الإمامية عموماً في المشرق إبان فترة العصر العباسي مرت بمراحل متباينة بين الثورة والمهادنة، فقط كان الفرع الحسني من العلويين هو الأكثر نشاطاً وفعالية من الناحية السياسية والعسكرية، ونجح في إقامة كيانات سياسية في المغرب واليمن وطبرستان، بينما كان آل الحسين اهتموا بتطوير الفقه الشيعي، في أصوله وفروقه حيث اختفاء الإمام الثاني عشر أو غيبته ٢٦٥هـ/ ٨٧٨ م إشارة واضحة تنم عن ترك دعواه ونشاطه السياسي<sup>(٢)</sup>

إلا أننا نري أن نشاط الإمامية في خراسان يكاد يكون غير متواجد بل والمشرق الإسلامي بصفة عامة بسبب قوة وبطش العباسيين والأتراك، هذا

---

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٨٨؛ ابن خلدون : المقدمة، ط. دار الفجر القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢٥٦

(٢) فاروق عمر، التاريخ الإسلامي، وفكر القرن العشرين (دراسات نقدية في تفسير التاريخ)، ط١ بيروت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص٢٦٤

بجانب أنهم هادنوا النظام العباسي منذ حياة الإمام جعفر الصادق(\*)، ومن الممكن أن تكون تقية خوفاً من السلطة العباسية، وفكرة الأخذ بالتقية هي فكرة ومعتقد عام عند فرقة الشيعة.

### الشيعة الزيدية

فالزيدية فرقة شيعية ظهرت ظهوراً واضحاً في بداية القرن الثاني الهجري، وهم أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(\*)، وقالوا بإمامته ثم قالوا بعده بالإمامة في ولد فاطمة كائناً من كان بعد أن يكون عنده شروط الإمامة<sup>(١)</sup>

لكن نشاط الزيدية سياسياً وثورياً كان كبيراً وقوياً من خروج الإمام زيد بن علي على الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١٢٢هـ / ٧٣٩م وقتل على يد الخلافة الأموية، لأن هناك فرقاً بين الزيدية والإمامية، فالزيدية لا يأخذون بالتقية بل يثورون على الظلم والجور ولا بد أخذ الحق بالقوة وتمثل هذا بالفعل في خروج زيد بن علي إلي أن بدأت في خراسان على يد "محمد بن القاسم بن علي العلوي"<sup>(\*)</sup>.

وقد خرج "محمد بن القاسم العلوي" على المعتصم العباسي

---

(\*) جعفر الصادق : هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، سمي بالصادق لصدقه، وهو سادس الأئمة الإثنا عشرية ولد سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م بالمدينة وتوفي عام ١٤٨هـ / ٧٦٥م وانشغل بالعبادة عن السياسة ( انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٢٠ ).

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٥٣

(\*) محمد بن القاسم العلوي : هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب هرب من الكوفة إلى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو و سرخس و الطالقان ونساء، حيث دعا كثير من الناس إلى إمامته، وأكثر هؤلاء بالكوفة وطبرستان وكثير من كور خراسان . ( انظر: المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٥٢ ).

عام (٢١٨هـ/٨٣٣م) من الكوفة حتى وصل إلى خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، فاجتمع إليه ناس كثير، فاهتم بأمره عبد الله بن طاهر (٢١٣-٢٣٠هـ/٨٢٨-٨٤٤م) أمير خراسان وهزمه وقتل بناصية الطالقان<sup>(١)</sup>.

وواصلوا نشاطهم في خراسان لاسيما في فترة العصر العباسي الثاني مواجهة الظلم الاجتماعي القائم والطغمة العسكرية التركية الجائرة، إلى أن أقاموا لهم كياناً سياسياً شيعياً زيدياً في طبرستان عام ٢٥٠هـ/٨٦٥م، سنتحدث عنه تفصيلاً فيما بعد حينما دخل في صراع مع كيانات سنية مثل السامانيين والغزنويين<sup>(٢)</sup>.

ومن اللافت للنظر أن المذهب الزيدي نما وانتشر وذلك لعدة أسباب منها: وجود أئمة من آل البيت وهؤلاء اجتهدوا ووافقوا الإمام زيدا في أكثر ماوصلوا إليه من حلول للمسائل وخالفوه في كثير وأراؤهم أضيفت إلى المذهب فوسعته، وهذا بالإضافة إلى عدة أماكن متناحية الأطراف قد وصل إليها المذهب مثل بلاد الديلم، فضلاً عن فتح باب الاجتهاد في المذهب الزيدي وكان من الاجتهاد فيه ما يستحق من حلول في المذاهب الأخرى الأربعة السنية<sup>(٣)</sup>.

ومن الملاحظ أيضاً بالرغم من أن الزيدية فرقة شيعية إلا أن هناك تقارباً بين المذهب الزيدي الشيعي والمذهب الحنفي السني، فمذهب الزيديين مذهب جامع ليس بمقصود على اجتهاد الإمام "زيد بن علي"، ولا سيما أنه يتلاقى مع مذهب أبي حنيفة في باب المعاملات، والسبب هو أن الإمام أبا حنيفة نفسه التقى بالإمام زيد بن علي بل أخذ عنه وأيده في خروجه على ظلم هشام بن عبد الملك، وقد تلاقى المذهبان في بلاد ما وراء النهر، فأخذ كل منهما عن

---

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٧١-٤٧٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٧؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٥٢؛ جوزجاني: طبقات ناصري، ص ١٩٢  
(١) حسن أحمد وأحمد الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٤٨٠  
(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٤٩٦

الآخر، وأن بعض نقلة الفقه الزيدي كان يأخذ من المذهب الحنفي حيث لا نص في الزيدي<sup>(١)</sup>.

ومن ضمن سمات المذهب الزيدي وعوامل نموه واتساعه هو أخذه بالمذهب العقلي وقولهم بأن العقل يحكم حيث لا نص أو سند بدون عقل وأن للعقل سلطاناً في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح بجانب القياس على الأشياء والاستنباط<sup>(٢)</sup>، ولعل هذا كان سبباً في تبنيهم قضية العدل الاجتماعي، وعدم الخضوع للظلم والجور عما كان له أبلغ الأثر على جهادهم ضد سلطان الخلافة<sup>(٣)</sup>.

### الشيعة الإسماعيلية

وهم من قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بالنص، وإن كان مات قبل أبيه إنما هو بقاء الإمامة في عقبه، ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلي ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين؛ لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر، ويكون دعائه ظاهرين إقامة للحجة على الخلق، وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته، ومن بعد محمد المكتوم ابنه "جعفر المصدق" ثم ابنه "محمد الحبيب" وهو آخر المستورين، وبعده ابنه "عبيد الله المهدي" الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في بلاد المغرب وبائع الناس على دعوته<sup>(٤)</sup>.

كما أنهم أيضاً يسمون بالسبعية وذلك بسبب أن المذهب قد تطرقت إليه بعض تعاليم "الأفلاطونية المحدثه" و"الفيثاغورثية" وهو مبني في كل تفاصيله على العدد الخفي "سبعة" فهناك سبع فترات في فترات الأنبياء والرسل (آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد صلى الله عليه وسلم، محمد

(٣) نفسه، المرجع السابق، ص ٥٠٠

(٤) نفسه، نفسه، ص ٤٩٥

(٥) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن، ط ١. القاهرة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م، ص ٢١

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٦-٢٥٧



في المنطقة المحيطة بمدينة واسط، فهناك أنشأ رجل يدعى "حمدان بن الأشعث" الملقب بالقرمطي (لعلها كلمة آراميه معناها المعلم السري) مركزاً لأتباعه دعاه، والواقع أن الألفة والشركة في الأموال سادت في هذه الخلية الأولى من خلايا تلك الحركة، فكان المريدون يقيمون "ولائم محبة" يتناولون فيها طعام أهل الجنة<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ في دراسة فرقة القرامطة أن أهم ما يميزهم هو انخراطهم في سلك الثورة ضد الخلافة وظلم العسكر بالرغم من وجود مبدأ التقية المأخوذ به عند الشيعة، لكنهم وجدوا الوقت المناسب للثورة، بالإضافة إلى فكرة أخرى هي "المهدوية" تلك الفكرة المسيطرة على عقيدة الشيعة جمعاء وهو أنه سيعود المهدي المنتظر ليقضي على الجور ويعيد الحق والعدل، ولعل هذه الفكرة المرتبطة بالفكر الشيعي عموماً ناتجة بالفعل عن وضعية الاضطهاد الاجتماعي والاقتصادي منذ أواخر القرن الثالث الهجري، الأمر الذي جعلهم يثورون في وجه الخلافة ومن ساندوها وإن أخذ شكل التطرف إلى حد ما.

وكانت هذه الحركة في الأصل منظمة سرية ذات صبغة اشتراكية، حيث يفرض على من يريد الانضمام إليها أن يتكرس رسمياً، وكان للحركة أرزاق جارية من ثروة مشتركة مما يؤديه الأعضاء تبرعاً في الظاهر، بالإضافة إلى أن لهم قانون إيمان يقوم على مبدأ السؤال والجواب مبني على تفسير القرآن تفسيراً رمزياً يتكيف تبعاً لمقتضيات كل الأديان والأجناس والطبقات وهم ينادون بالمساواة والعدالة الاجتماعية ويجعلون العمال والصناع صنوفاً لها مراسيم كمراسيم النقابات المنظمة، وأقدم وصف لتنظيم هذه النقابات الإسلامية ورد في الرسالة الثامنة من رسائل إخوان الصفا<sup>(٢)</sup>.

ولا يمكن تفسير انتشار هذه الحركة وخطورتها إلا بعد معرفة العلاقة

---

(٣) ابن الجوزي، المصدر السابق، ص ٢٨٧؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٢٩

(١) فيليب حتى، تاريخ العرب، ط ٩ دار غندور - بيروت ١٩٩٤م، ص ٥١٧

بين المبادئ التي بشرت بها وبين الوضع الاجتماعي والاقتصادي للجماعات التي انتشرت بينهم، ففي خراسان وطبرستان والديلم نجد -بالإضافة إلى الروح القومية والعداء السياسي للعباسيين- نظاماً طبقياً يعطي الجاه والثروة لجمهرة من الشيوخ ويضع العبء على الجماهير، فاتفق الشيعة مع الجماهير ودافعوا عن مصالحهم وبذلك اكتسبوا حركتهم صفة شعبية فنجحوا في جهودهم<sup>(١)</sup>.

وقد تمثل هذا في سلب القرامطة للحجر الأسود من الكعبة عام ٣١٧هـ/٩٣٠م، تلك العملية التي قام بها القرامطة بدافع اقتصادي وليس بدافع ديني أي أنه عمل رمزي الهدف منه أبرز احتجاج القرامطة بكل وضوح وشدة على استغلال موسم الحج من قبل التجار والموسرين لغرض التجارة التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة، وبناء على ذلك قرر القرامطة مهاجمة القوافل حتى يتوصلوا إلى اتفاق مع السلطة العباسية من أجل إشراكهم في الحج والاستفادة من الأرباح<sup>(٢)</sup>، وبالمثل دار الهجرة التي أقاموها في البحرين حيث إنهم عاشوا في مناطق قاصرة عليهم دون غيرهم مطبقين سياسة الاكتفاء الذاتي في المعيشة<sup>(٣)</sup>.

أما عن انتشار مذهب القرامطة في خراسان كان على يد إمام من أشهر أئمة المذهب وهو "ميمون القداح" الذي يعد بمثابة مؤسس قواعده، حيث كان يدعو لآرائه متخفياً وهو يزاول مهنته في قداحة العيون ولاسيما أن أتباعه ودعائه يجوبون خراسان لنشر هذا المذهب<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن اتجاه الدعوة إلى كسب رכיكة شعبية من بين الطوائف الكادحة

---

(٢) عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص ١٧

(٣) فاروق عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ط ١ مؤسسات المطبوعات العربية- بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٢٧٢

(٤) محمد السعيد جمال الدين، دولة الإسماعيلية في إيران، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص ١١٤

(١) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٨٧؛ على أحمد الشحات، أبو ریحان البيروني، ص ٢٥

قد أثر منذ أول وهلة على موقف التشيع بصفة عامة، بحيث أصبح الشيعة جميعاً يلجئون إلي استمالتهم ويعملون على تأليف القلوب حولهم سواء في خراسان أو حتى في بلاد ما وراء النهر، وقد سارت الدعوة الإسماعيلية في نفس الاتجاه إلا أن حاربهم ملك الترك "بغراخان" وقتل منهم الكثير عام ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م<sup>(١)</sup>.

كذلك وضح النشاط الملموس الذي بدأه دعاة الإسماعيلية في خراسان والري<sup>(\*)</sup> وطبرستان وما وراء النهر بإيعاز من الإمام "عبيد الله المهدي"، ويدلنا على ذلك الجهود التي قام بها الداعي "أبو حاتم الرازي" (٣٢٢هـ / ٩٣٣م) والداعي النسفي (٣٣١هـ / ٩٤٢م) و الداعي "أبو يعقوب السجزي" (٣٣١هـ / ٩٤٢م)، ونستطيع القول بأن عبيد الله قد استغل نفوذ دعائه في خراسان وما وراء النهر وطبرستان والري وغيرها استغلالاً تاماً<sup>(٢)</sup>.

هذا فضلاً عن قيام الداعي "الحسين بن علي المروروذي" الذي كان قائداً للجيش الساماني في عهد الأمير "نصر بن أحمد الساماني" وقد عصا الأمير نصر وضم سيستان وهرات ونيسابور واعتنق المذهب الإسماعيلي ودعا إليه وأصبح من جملة الدعاة، ولاسيما أن عدداً لا بأس به من أهالي خراسان البسطاء قد أقبلوا على المذهب الإسماعيلي بهدف الخلاص من الوضع الاجتماعي والاقتصادي السيئ<sup>(٣)</sup>.

خلاصة القول أن الشيعة بوجه عام هم المناوئون الأول للسلطة العباسية

---

(٢) محمد السعيد جمال الدين، المرجع السابق، ص ٨٧؛ فاروق عمر: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ص ٢٦٦

(\*) الري: هي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وأشهر مدنها الشافعية نظراً لغلبة المذهب الشافعي بها. ( انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٦ ).

(٣) حسن إبراهيم حسن وطه أشرف، عبيد الله المهدي، ط مكتبة النهضة دت، ص ١٨٦

(٤) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ص ١٤١

السنية، ويهدفون الي الخلاص ولكن ليس محاربتهم بهدف ديني أو عقائدي أو مذهبي بحث بقدر ما هو عدااء بسبب العدالة الاجتماعية وكثرة اضطهادهم منذ عهد الخلافة الأموية حتى العهد العباسي، بجانب انتشار المذهب الشيعي بفرقه في خراسان بل تكوين كيانات سياسية مهددة للخلافة مثل الإسماعيلية والقرامطة.

مما لاشك فيه أن هذا الصراع السياسي والاجتماعي أسفر عن تأثر الفكر أو تغير فكر الشيعة بالقول بالبداء أو البدائية تلك الفكرة التي لها خلفية سياسية واقتصادية واجتماعية، حيث أن البداء مرتبط بحدوث الأسباب والمسببات وليس كما الذي شاع بين الكتّاب والمؤرخين للمذاهب أن البداء هو تبدل إرادة الله وتجدد علمه بالأصلح والأحسن، إلا أن البداء عند الشيعة المقصود به هو أن أي تغير سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي نتج عنه حدوث تغيرات سياسية أخرى وعسكرية ووضع عام، وبالفعل هو ما حدث من ثورة وحركة للشيعة في خراسان ضد سلطان الخلافة ومعاونيهما من الحكام الجائرين المستغلين والمتعصبين<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى فكرة الوراثة وتأكيد فكرة انتقال الأسرار المكنونة والعلوم اللدنية من الإمام الأب إلى الإمام الابن<sup>(٢)</sup>، حيث أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام وأن الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق<sup>(٣)</sup>.

### الخوارج

إذا كان أهل السنة يمثلون اليمين والشيعة يمثلون اليسار المعتدل، فإن الخوارج عبروا عن موقف اليسار المتطرف. أما عن تسمية الخوارج نكاد نلمح اتفاق بين مؤرخي الفرق أنهم سموا

---

(١) هاشم معروف الحسيني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ط ١ دار العلم بيروت ١٩٧٨م، ص ٢٣٠.

(٢) مجموعة الوثائق الفاطمية، المجلد الأول (وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة)، تحقيق وتحليل: جمال الدين الشيال، ط لجنة التأليف والترجمة . القاهرة ١٩٥٨، ص ١٩

(٣) الكليني الرازي، الأصول من الكافي، ط ٣ دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ، ج ١، ص ٥٣٨

الخوارج نظراً لخروجهم على الإمام "على بن أبي طالب" في وقعة صفين الشهيرة وحادثة التحكيم ضد معاوية بن أبي سفيان عام ٣٧هـ/٦٥٧م<sup>(١)</sup>، إلا أن هناك بعض المؤرخين<sup>(٢)</sup> يرون أن الخوارج أول ما خرجوا كان في حياة الخليفة أبي بكر الصديق حينما امتنعوا عن دفع الزكاة وكان على إثرها حرب الردة وتمثلوا الآية الكريمة: "ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها" وعرفوا باسم "المحكمة الأولى" نظراً لتبنيهم شعار "لا حكم إلا الله".

وأيضاً سمووا أنفسهم بالشرارة لقولهم شرينا أنفسنا في طاعة الله ذاهبين إلى قوله تعالى: "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله"<sup>(٣)</sup>.

إلا أننا نري أن لفظة الخوارج قديمة قبل الإسلام وقد لاحظنا أنها قيلت في العصر الروماني، وقد قال بها أحد الكتاب اللاهوتيين الرومان يدعي "ترتوليان" (١٦٥-٢٢٠م) عندما كان يدافع عن العقيدة المسيحية ضد الفلسفة ويعتبرها عدواً للدين قائلاً: "أي علاقة توجد بين أثينا وأورشليم بين الأكاديمية والكنيسة أو بين الخوارج والمؤمنين"<sup>(٤)</sup>.

وقد انتشر الخوارج في المشرق الإسلامي وكان لهم مناوشات ومصادمات كبيرة مع السلطة الطاهرية والصفارية حيث نجحوا في جذب كثير من الناس إلي مذهبهم؛ بسبب قوانينهم المبنية على الانتخاب بجانب معارضتهم للخلافة العباسية حيث انضم إليها السكان المتذمرون للتنفيس عما يختلج في نفوسهم من آمال ومطامح، إلا أن قواهم وجموعهم كانت مبعثرة في خراسان وسيستان وكرمان وفارس مثل الأزارقة\*

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٤

(١) أحمد رمضان، الخلافة في الحضارة الإسلامية، ص ١٩٩؛ محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج ١، ص ١٥٢

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذارت الذهب، ج ١، ص ٢٨٨-٢٨٩؛ التتوخي: نشوار المحاضرة، ط مطبعة المفيد دمشق ١٩٣٠م، ص ٤٢

(٣) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ط. دار المعارف ١٩٥٧م، ص ١٣  
\* الأزارقة: هؤلاء هم اتباع نافع بن الأزرق الحنفي، ولم تكن للخوارج قط فرق أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكاً، ويقولون بأن مخاليفهم من الأمة مشركون. (أنظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٦٣، ٦٢)

والنجدات\*، والواضح أن تحركات الخوارج في هذه المناطق لم تكن دائمة ولم يبسطوا سيطرتهم على كل المدن والقرى بصورة محكمة وفعالة<sup>(١)</sup>.

إلا أن للخوارج ثورات كبرى في خراسان وسجستان لدرجة أن فترة إمارة طلحة بن طاهر بن الحسين (٢٠٧-٢١٣هـ/٨٢٢-٨٢٨م) مضت كلها في محاربة الخوارج؛ لأن الخوارج ظلوا هكذا في حالة كروفر في خراسان وسيستان تحت رئاسة زعيمهم "حمزة بن أدرك" إلى أن مات وتولى مكانه أخوه "عبد الله بن طاهر" عام ٢١٣هـ/٨٢٨م الذي أيضاً قد واجه الخوارج لكن لم يستطع الاستمرار بسبب انشغاله بمحاربة الخرميين<sup>(\*)</sup>، فقد أعطى الإمارة لأخيه "علي بن طاهر" لكنه سرعان ما قتل في حرب الخوارج، وفي الواقع ظل الخوارج هكذا في مشاحناتهم حتى بعد موت زعيمهم "حمزة بن أدرك" ورفعوا شخصاً آخر يدعى "أبا اسحق" رئيساً عليهم ثم هرب فاختاروا شخصاً بدلاً منه يدعى "أبا عوف" نهاية بزعيمهم

---

\* النجدات: هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي وكان السبب في رياسته أن نافع لم أظهر البراءة من القعدة عنهم أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين، واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائه وكان مقره اليمامة، وأقاموا على أمامته، ومنها تفرعت فرقة بإمامة عطية بن الأسود الحنفي في سجستان وتبعهم خوارج سجستان. (أنظر: البغدادي، المصدر السابق، ص ٦٥، ٦٦).

(٤) صابر محمد دياب، الدولة الإسلامية في العصر العباسي قضايا وموقف، ص ١٤٧

(\*) الخرميين: هم أتباع بابك الخرمي الذي ظهر ببلدة البذ وهي بأذربيجان حيث يرى الدينوري أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني، وقد عظم أمره وهابه الناس وحاربوه ولم يقدروا عليه، لكن الخرمية نفسها نسبة إلى خرمًا امرأة مزدك أحد الموابذة أي رجال الدين الفرس في دولة الساسانيين، والتي أخذت على عاتقها نشر مبادئه بعد مقتل زوجها على يد خسرو الأول أنوشروان، حيث كان جوهر دعوتها إلى المساواة بين البشر في كل شيء في المال والعقار والنساء، وهناك رأي قائل بنسبتهم إلى خرم وهي قرية بإقليم أرمينيا، كذلك أطلق عليها الخرمينية نسبة إلى خرم أي فرج المرأة وهو رمز للشهوة، وأطلق على أتباعها المحمرة لأنهم لبسوا الثياب الأحمر ويهدفون إلى العودة إلى القومية الفارسية وتخريب الأراضي وقطع طرق التجارة على الخلافة العباسية متخذة صبغة اجتماعية متطرفة، وكانت بداية ظهورها في أواخر عهد الرشيد عام ١٩٢هـ لكنها اشتدت في عهد المعتصم الذي استطاع القضاء عليها وعلى بابك عام ٢٢٢هـ/٨٣٧م على يد قائده الأفشين وتم قتل بابك الخرمي. (انظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٤٨٠؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٥١؛ الطبري: تاريخ = الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٣١٧؛ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٤٠٢، ٤٠٥؛ عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٤٠٠، ٤٠٥؛ سعيد نفيسي: بابك خرم دين، ص ١٦).

"عمار الخارجي" عام ٢٣٣هـ/٨٤٧م والذي قتله يعقوب بن الليث الصفار<sup>(١)</sup>.  
ومن الجدير بالذكر أن بداية انتشار الخوارج بخراسان كانت أيام الخليفة  
المهدي عام ١٦٠هـ/٧٧٦م على يد "يوسف البرم" الذي ينتمي لعرب قبيلة  
بني ثقيف المهاجرين وشملت دعوته القسم الشرقي لخراسان أي في حدود  
مرو الروذ و الطالقان ثم سيطر على سائر خراسان<sup>(٢)</sup>.  
وقد تركز الخوارج بكروخ واسترأبيان إحدى مدن هرات، والسبب في  
ذلك التركيز أن تلك المدن كثيرة ومتشعبة الجبال مما يصعب من مهمة أي  
مواجهة قمع للخوارج نظراً لطبيعتهم البدوية الجبلية<sup>(٣)</sup>.  
نخلص مما سبق أن الخوارج حزب ثوري صريح في وجه الظلم والجور  
مثيرين حماسة الجماهير بالرغم من تطرف بعض فرقهم، بالإضافة إلى  
رأيهم في أن الإمامة لا يشترط فيها الجنس والنسب بل أن يكون الإمام عادلاً  
فقط؛ لذلك سموا بـ"جمهوريو الإسلام"<sup>(٤)</sup>.

## المعتزلة

فنشأة المعتزلة قد تضاربت حولها الآراء فهناك من يرى أن نشأة  
المعتزلة كانت سياسية على غرار الشيعة والخوارج، وأن المعتزلة سابقة  
على نشأتها كفرقة أو كمذهب قبل "واصل بن عطاء"<sup>(\*)</sup> منذ أيام خلافة

(١) جوزجاني، طبقات ناصري، ص ١٩٢؛ تاريخ سيستان : ص ٢٠٣؛ عبد الحسين زرين كوب،  
تاريخ إيران بعد از اسلام، ط طهران ١٣٧١هـ.ش، ص ٥٠٥، ٥٠٦.

(٢) عباس إقبال، المرجع السابق، ص ١٥.

(٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٥١.

(٤) فلهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام، ترجمة: عبد الرحمن بدوي،  
ط ٣. القاهرة ١٩٧٨م، ص ٤١؛ محمد جودة : الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في بلاد ما وراء  
النهر من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة السامانية، رسالة دكتوراة، ص ٢١٢.

(\*) واصل بن عطاء : هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزالي (٨٠-١٣١هـ) رأس المعتزلة ومن  
أئمة البلغاء المتكلمين، سمى أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ومنهم طائفة  
تنسب إليه تسمى الواصلية. ( انظر: الخياط، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، ط. مكتبة  
الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٨٨م، ص ٩-١٠ )

الراشدين ولاسيما خلافة أبي بكر الصديق ومن بعده عمر بن الخطاب والخلاف حول تولية علي بن أبي طالب، وبعدها قام فريق من الصحابة بالامتناع عن الدخول في الاختيار واعتزلوا هذه الحياة السياسية، وأربأوا بأنفسهم عن الفتنة الواقعة وأبرزهم "سعد بن أبي وقاص" و"عبد الله بن عمر" و"أسامه بن زيد"<sup>(٤)</sup>.

أما الرأي الآخر فيقول أن فكرة الإعتزال ظهرت عندما اختلف أحد تلامذة الحسن البصري (ت: ١١٣هـ/ ٧٣١م) وهو "واصل بن عطاء الغزال" حول مسألة فقهيه وهي ما موقف المؤمن العاصي الذي ارتكب كبيرة من الكبائر؟ هل يعتبر مؤمناً من عدمه؟ وكان رأي واصل أن مثل هذا الشخص لا يعتبر مؤمناً ولا كافراً بل هو في منزلة بين المنزلين، فضلاً عن أنه اجتذب معه "عمرو بن عبيد" إلى المذهب وأصبح الاثنان معاً مؤسسي المذهب المعتزلي مع بداية القرن الثاني الهجري<sup>(١)</sup>.

وفي رأينا أن الأرجح هو أن المعتزلة كفكر ظهر بالفعل منذ أيام خلافة الراشدين، وبالتحديد عند حادثة مجلس أهل الحل والعقد بعد مقتل الخليفة "عمر بن الخطاب" والخلاف حول تولية "علي بن أبي طالب" أم "عثمان بن عفان" أي أنه اعتزال سياسي ولاسيما آنذاك، كانت الفتنة قد آتت البعض الاعتزال بعيداً عن الأحداث الموجودة.

وصار أحد المؤرخين<sup>(٢)</sup> معضداً لهذا الرأي عندما ابتعد فريق من الصحابة عن الحياة السياسية، فهذا عن نشأة المعتزلة كفكر هي أقدم من نشأتها كمذهب أو فرقة فيما بعد.

وكان المذهب المعتزلي قائماً على البحث والعقل وإعمال قانون السببية في الأشياء، وإطلاق حرية التفكير في الآراء و النصوص الدينية، فليس

---

(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، ط القاهرة ١٩١٠م، ص ٩٧- ٩٨؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٠٧

(١) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص ٢٠٧

(٢) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج ٢، ص ٥٨

عندهم إجماع معين؛ لذلك كان يهاجمهم أصحاب بعض المذاهب الأخرى من السنة مثل الحنابلة وأيضاً الخلافة العباسية، نظراً لما له من أثر سياسي، وقد قوى أمر المعتزلة لدرجة أن جاء وقت كان الخليفة المأمون العباسي معتقداً لهذا المذهب ويعتبر عصره هو العصر الذهبي للنقطة الفكرية والأدبية على يد المعتزلة<sup>(١)</sup>.

فقد حكى عن المأمون ذات مرة أنه جالس رجلاً من الخوارج دخل إليه، فقال له المأمون: "ما الذي حملك على خلافنا والخروج علينا" فقال الخارجي: آية وجدتها في القرآن تقول "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، فقال المأمون: ألك علم بأنها منزلة قال نعم، رد عليه المأمون: وما الدليل على ذلك؟، قال إجماع الأمة، فقال المأمون: فلما رضيت بإجماعهم في التنزيل ورفضت بإجماعهم في التأويل، فقال الخارجي صدقت والسلام عليك يا أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

يفهم من هذا النص العقلانية في البحث في آيات الله والكتاب وحرية الفكر، وعدم المصادرة على آراء الغير حتى لو كان مخالفاً لمذهبه.

وقد بدأ نشر تعاليم المذهب المعتزلي مع بداية القرن الثاني الهجري على يد "بشر بن المعتز" وهو شيخ من شيوخ المعتزلة وهو الذي أحدث القول بالتوليد أي السببية (العلة والمعلول) فقد حاول نشر تعاليمه فنظمها شعراً لتفهمه العامة من الشعب<sup>(٣)</sup>.

أما عن بداية انتشار المذهب في خراسان فكانت أيضاً مع بداية القرن

---

(٣) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ص ٥٧

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وضعة الكتابة، ص ٤٦٢

(٢) التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ترجمة: عبد النعيم حسنين، تحقيق: لطفي عبد البديع، ط . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ص ١٧١؛ هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، ط ٣ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩م، ص ٩٢

الثاني الهجري علي يد "حفص بن سالم" أحد تلاميذ واصل بن عطاء<sup>(١)</sup>، حيث كان لهم وجود وظهور لكن بلا غلبة في نيسابور<sup>(٢)</sup>، وأيضاً مدينة "بلخ" حيث وجود شيخ المعتزلة "أبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي" العالم المشهور على رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية<sup>(٣)</sup>.

وتكمن أهمية تعاليم المعتزلة أنها تعاليم في مواجهة الظلم والتبرير له عن طريق "القدرية" وهم الذين يزعمون أن الله تعالى قدر المعاصي، وجعلوا ذلك كالعذر للعاصي، حتى اعتقد بعضهم أنه لا يقدر ولا يصح منه غير ما قدر الله تعالى له ولا يجوز أن يوصف بذلك إلا من الإثبات لا من النفي<sup>(٤)</sup>.

وهنا تبرز أهمية فكر وتعالم المذهب المعتزلي في الفترة السيئة للعالم الإسلامي وخاصة في المشرق حيث كثرت الثورات الشعبية من الأوضاع الاجتماعية، ويظهر فقهاء السلطة ويبررون مشروعية الظلم ويقولون هو قدر الله، هذه هي إرادة الله وأنها مقدرة سلفاً من قبل الخالق، ويقومون بقمع الثورات ولا سيما حركات الشيعة<sup>(٥)</sup>.

ولا نستبعد أن يكون المعتزلة هم وقوداً حقيقياً للثورات الشيعية ولا سيما الشيعة الزيدية؛ نظراً للارتباط التاريخي الوثيق بين المذهب الزيدي والمعتزلي علماً بأن الإمام "زيد بن علي" قد تتلمذ وتعلم على يد "واصل بن عطاء" وأخذ عنه التفكير وإطلاق حرية العقل في النصوص الدينية، لعله ما يفسر خروج الزيديين دائماً في ثورات ضد الخلافة، بل وإقامة كيانات سياسية كبيرة لا تضطهد أو تقمع المذاهب الأخرى، مثل الدولة الزيدية في طبرستان، والبويهيين في فارس والعراق.

---

(٣) الخياط، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، ص ١٠

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٢٣

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٨١

(٦) القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيد، ط الدار التونسية.

تونس ١٩٧٤م، ص ١٦٧

(١) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ص ١٤٢

وهذا يبرر ملاحظة كلود كاهن- الذكية- بأن نشاط الزيدية كان يتراوح في مده وجذره وفقاً لموقف الخلافة من المعتزلة<sup>(١)</sup>.

وبناء على تلك الخلفية الفكرية للمعتزلة قام الخليفة العباسي "القادر بالله" عام ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م باستتابة فقهاء المعتزلة، فأظهروا الرجوع وتم حرمانهم من الكلام والتدريس والمناظرة، بالإضافة إلى امتثال السلطان محمود الغزنوي الذي قام بأعمال القتل والحبس للمعتزلة بجانب الشيعة وأمر بلعنهم على المنابر<sup>(٢)</sup>.

نخلص مما سبق أن المعتزلة في خراسان توارى نشاطهم وقل عملهم الثوري بسبب قسوة النظام الحاكم سواء أيام السامانيين أو الغزنويين مروراً بعهد السلاجقة، وبسبب أيضاً قوة وانتشار المذهب السني ووجود المذهب الشيعي الإسماعيلي الثوري.

### الصوفية

فهم طائفة نسبوا إلى ظاهر اللباس، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم؛ لأن لبس الصوف من دأب الأنبياء والصديقين وشعار المتنسكين، ورسم الصوفيين كان معروفاً أيام الحسن البصري (ت ١١٠ هـ / ٨٢٨ م)<sup>(٣)</sup>.

لكن هناك من ذهب بالقول إلى أن نشأة التصوف كانت موجودة منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم حيث وجدت في أيامه جماعة من اثني عشر شخصاً يقال لهم أصحاب الصفة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجالسهم كثيراً في الخلوة، حيث يتسمون بالأدب والمروءة<sup>(٤)</sup>.

أما لقب "صوفي" قيل أنه أول ما أطلق على "أبي هاشم

---

(٢) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج ١، ص ١١١

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ١٢٥ - ١٢٦

(١) الطوسي، اللع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه سرور، ط دار الكتب الحديثة مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م، ص ٤١ - ٤٢

(٢) كيكوس بن زيار، قابوسنامه، ص ٢٣٥

الكوفي" (ت: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) وهو رجل زاهد من الكوفة، وقيل جابر بن حيان (ت: ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) الذي كان يُلقب بجابر الصوفي<sup>(١)</sup>.

لقد كانت تعاليم الصوفية تحت على الزهد والبعد عن شهوات الدنيا والملذات، حيث كانت نشأتها الحقيقية كرد فعل للفتن والصراعات القائمة، حيث تصدى المتصوفة لبعض المفاصد الموجودة عن طريق الدعوة إلى الزهد لكن لم تكن ذات طابع أخلاقي بقدر ما كانت تعبر عن ظروف اجتماعية وسياسية تمثلت في ظهور اتجاهات دنيوية على حساب الدين، وفُرقة سياسية عبرت عنها الفرق التي نشأت إبان الفتنة الكبرى<sup>(٢)</sup>.

وقد انعكست معطيات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على أفكار ومعتقدات المتصوفة؛ لذا فنجد العديد من المصطلحات الفلسفية للصوفية مثل "التخلي" وهو اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق<sup>(٣)</sup>، "المجاهدة": وهي حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى عن كل حال<sup>(٤)</sup>، "الستر": وهو للعوام عقوبة حيث يكونون في غطاء الستر أي أن الله يخفي عنهم أحوالهم ليدوموا على جدهم واجتهادهم في عباداتهم<sup>(٥)</sup>، بجانب مصطلح "الفتوة": الذي قال عنه الإمام على بن أبي طالب أن الفتوة هي الإسلام والإيمان والعقل والدين والعلم والزهد والورع والكرم والمروءة وأن لا يغفل المؤمن عن جاره<sup>(٦)</sup>.

كل تلك المصطلحات المستعملة من قبل الصوفية ووسائل التخفي

(٣) الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ط القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ١١٢

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٣٦؛ محمود إسماعيل: دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، ط ١ سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٤م، ص ٦٩

(٥) الجرجاني، التعريفات، ط . مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص ٤٦

(٦) الإسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، ط ١ بغداد ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج ٢، ص ٦١٢

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، ط ١ مطبعة دار التأمل . . . . . ص ٢٢٤

(٢) الأربيلي، الفتوة، تحقيق: إحسان ذنون، ط ١ . دار الرازي - الأردن ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٢٤

والتجلي لها مدلولات اجتماعية معبرة عن الواقع<sup>(١)</sup>، حتى أن أحد المؤرخين<sup>(٢)</sup> قال بتوحد اتجاهات النسك الإسلامي المختلفة خلال القرن الثالث الهجري في طائفة عرفت بالصوفية والتي نشأت بالفعل ما بين الطبقة الدنيا.

لكن البعض قد قال بأن هناك أثراً من الحضارات القديمة على التصوف وعاداته مثل ديانة الهند القديمة، وقولهم بالخلود في العالم الباقي لمن ترك لذات الدنيا وهذا قول "برخمين" الهندي: إن ترك لذات هذا العالم هو الذي يلحقكم بذلك العالم حتى تتصلوا به وتتخرطوا في سلكه وتخلدوا لذاته ونعيمة"<sup>(٣)</sup>، وهناك من يرى التأثير المسيحي، من حيث المظهر والتأثر باللباس حيث إن رهبان النصارى يميزون بأرديتهم الصوفية البيضاء، قيل أن ذاك الرداء الصوف له أثر على ارتداء المسلمين المتصوفة للصوف<sup>(٤)</sup>.

أما عن انتشار التصوف في خراسان وبدايته، فقد كان له جذور قبل الفتح الإسلامي حيث كانت مدينة "بلخ" من أهم مراكز التصوف البوذي واستمرت شهرة هذه المدينة وسمعتها الصوفية بعد الإسلام، ونشأ فيها عدد من أوائل المتصوفة مثل "إبراهيم بن أدهم"<sup>(\*)</sup> و"شقيق البلخي"<sup>\*</sup> من مشايخ خراسان<sup>(٥)</sup>.

---

(٣) آربري، تراث فارسي، ص ٢١١

(٤) جواتيائين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة وتحقيق: عطية القوسي، ط. الكويت ١٩٨٠م، ص ١١٨

(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ١٣٠٤

(٦) بروكلمان، المرجع السابق، ص ٢٣٦

(\*) إبراهيم بن أدهم : هو إبراهيم بن منصور بن يزيد التميمي، كان من أبناء المياسير، فهو زاهدا ورعا خرج إلى مكة و صحب سفيان الثوري و الفضيل بن عياض، وله طريقة خاصة في الزهد (ت : ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) انظر : أبي عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٧

(\*) شقيق البلخي : هو شقيق بن إبراهيم أبو علي الأزدي من أهل بلخ حسن التوكل فيه، وهو من مشاهير مشايخ خراسان وهو أول من تكلم في علوم الأحوال بكون خراسان ( انظر : أبي عبد الرحمن السلمي، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، تحقيق : عبد الفتاح الفاوي، ط. الإرشاد- القاهرة ١٩٨٥م، ص ٦١ )

(١) أبو عبد الرحمن السلمي، المصدر السابق ، ص ٦٠

فهناك بعض الزهاد الأقدمين في فارس وخراسان ومن أقدم متصوفة خراسان كان "عطاء بن أبي مسلم" وهو أقدم من أرخوا له وقد توفي (١٣٥هـ - ٧٥٢م) في بلخ، وبذلك يتبين لنا أن الزهد في فارس وخراسان قد تأخر ظهوره إلى بداية القرن الثاني الهجري على الأقل، وهذا يعني أن خراسان قد عكست لنا أفكار الزهد الكوفي الدائرة حول المجاهدة والخوف، وأفكار الزهد البصري المرتبطة بالحب والبكاء<sup>(١)</sup>.

وفي حوالي أواخر القرن الثالث الهجري حمل تلاميذ "السري السقطي" \* مذاهب الصوفية البغداديين إلى أنحاء الدولة الإسلامية، فحملها "موسى الأنصاري" (ت: ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) وهو أحد دعاة الفكر الصوفي ببغداد إلى مرو بخراسان، وكذلك ظهر التصوف بمدينة نيسابور على يد "أبي على محمد بن عبد بن الوهاب الثقفي" (ت: ٣٢٨هـ / ٩٤١م)<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لانتشار التصوف بخراسان فقد قام الحكام والولاة برعاية الصوفية والمتصوفين عن طريق تأسيس أماكن تعرف بالزوايا أو الخوانق أو التكايا، لكن قبل تأسيسها كان لهم بيوت صغيرة للذكر في ظاهر المدن سموها رباطات بالاسم الحربي<sup>(٣)</sup>.

والجدير بالذكر أن معظم من انضموا إلى المتصوفين من الطبقة العامة الذين انخرطوا في سلك الزهد والعبادة، كما فعل بعض العامة بالانخراط مع

---

(٢) كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ط ٣ دار الأندلس - بيروت ١٩٨٢م، ص ٣٥١

\* السري السقطي : هو سري بن المغلس السقطي تلميذ معروف الكرخي ببغداد وهو خال الجنيد البغدادي، حيث كان أحد كبار مشايخ الصوفية، وهو أول من تكلم ببغداد في التوحيد والأحوال (ت : ٢٥١ هـ / ٨٦٤ م) (انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٤) ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٠١ ؛ السلمي : أصول الملامتية وغلطات الصوفية، ص ٤٨

(٣) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ١٦ - ١٧

(٤) هدى دريش، دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ط ١ عين. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٩٧ ؛ محمود إسماعيل: دراسات في الفكر والتاريخ، ص ٧١ ؛ آدم ميتز: المرجع السابق، ص ٨

الشيعية الإسماعيلية<sup>(١)</sup>، بالإضافة أن بعض المنتسبين إلى الصوفية من أصحاب الحرف ومن الممكن أن تكون الطرق الصوفية قد أفادت في صياغة هيكلها التنظيمي من تنظيمات لأصحاب الحرف، مما ترتب عليه اكتساب التصوف مساحة اجتماعية نضالية<sup>(٢)</sup>.

وقد عبر عن هذا القصارية (الملامتية) وهم أتباع أبي صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار وهو عالم مشهور ومذهبه إظهار الملامة، وانتشر مذهب في نيسابور في القرن الثالث الهجري، ويقول القصار عن الملامة أنها طريق صعب على العامة أن يسلكوه، إن الملامتي يتصف برجاء المرجئة وخوف القدرية<sup>(٣)</sup>.

يتضح من أفكار القصارية أنهم أصحاب حرفة القصاراة وهي تنظيف وتبييض الثياب، مما يشي عن الطابع الاجتماعي والطبقة الممثلة لهذه الفرقة، وأن هذه الفرقة قد اتخذت موقفاً كالمرجئة أي سلبي وانعزالي عن الحياة السياسية.

لكن هناك فترة قد تحول فيها التصوف إلى أيديولوجية ثورية تناهض الفوضى السياسية والتسلط العسكري وتتطوي على أبعاد اجتماعية عبرت عنها حركة الحلاج الذي كان على اتصال بالقرامطة.

والحلاج هو الحسين بن منصور الحلاج ومنشأه في خراسان من نيسابور وقيل بمرور ويحيى ابن العيب، وهو رجل ناسك عابد ارفع في عبادته لدرجة المصافاة حتى يصفو عن البشرية ثم حل فيه روح الله وهي ما تسمى بفكرة (الاتحاد والحلول)، ولا يظهر ما تكرهه الشريعة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٢) محمود إسماعيل، محاضرات في تاريخ المشرق الإسلامي، ص ٦٤ - ٦٥

(٣) الهجویری، كشف المحجوب، ترجمة: محمود أحمد أبو العزائم، ط دار التراث العربي- القاهرة د.ت، ص ١١٨ ؛ السلمي: طبقات الصوفية، ص ١٢٩ ؛ قاسم غني: تاريخ تصوف در ایران، ط تهران ١٣٦٢هـ، ص ٤٣٩

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٦٩ ؛ ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣٤ ؛ الإصخري: المسالك والممالك، ص ٩٠ ؛ أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٧٠

وقد دخل الحلاج حلقة "سهل التستري"\* وقد خلع على نظرية "المحاسبي" القائلة بضرورة الرجعة إلى الله ثوباً من التقشف المستمر، وتحدث عن هالة النور المحيطة بأرواح المؤمنين وتمنحهم الحق في أن يشعروا أنهم في اتحاد مع الله وهي صورة مستمدة من بعض المعتقدات الشيعية، ولاسيما أنه اتصل خلال رحلته من خراسان إلى بغداد بأبي بكر الرازي الشيعي، فضلاً عن اتصاله بالقرامطة<sup>(١)</sup>.

تلك هي التهمة التي بسببها قتل الحلاج في بغداد، بالفعل هي التهمة الحقيقية غير المعلنة، حيث رأت السلطة العباسية أنه أصبح خطراً على الخلافة فألحقت به تهمة الكفر والإلحاد وادعاء الربوبية.

وقد قبض عليه في أيام وزارة حامد بن العباس عام ٣٠٩هـ/٩٢١م وناظروه واتهموه بأنه يدعي الربوبية والنبوة، فرد قائلاً: "أعوذ بالله أن ادعي الربوبية والنبوة إنما أنا رجل أعبد الله عز ذكره وأكثر الصوم والصلاة وفعل الخير لا غير"، وتم صلبه وإحراق جثته وإلقاؤها في نهر دجله<sup>(٢)</sup>.

أما مريدوه فقد فروا بأنفسهم إلى خراسان حيث مهدوا لنشر أفكاره ومذهبه، بالإضافة إلى إثراء الثقافة الإسلامية بالشعر الصوفي عند الفرس والترك<sup>(٣)</sup>.

من خلال ما سبق يتضح كيف أن السلطة العباسية وهي في حالة ضعف تقمع معارضيها بتهم الكفر والزندقة، والحقيقة أن الحلاج أراد بفكرة الحلول

---

\* سهل التستري: هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التستري ولد في تستر عام ٢٠٣هـ، وكان صوفياً ومتمكلاً وهو أستاذ "أبي عبدالله محمد بن سالم" ت: ٢٦٧هـ مؤسس المدرسة السالمية، وتوفي سهل التستري عام ٢٨٣هـ/٨٩٦م (انظر: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مجلد ١، ج ٤، ص ١٢٩).

\* المحاسبي: هو الحارث بن أسد المحاسبي من علماء ومشايخ الصوفية والعارف بعلم الظاهر والإشارات، وهو أستاذ أكثر البغداديين، لكن هو من البصرة (ت: ٢٤٣هـ) (انظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ٥٦).

(١) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٥٠؛ بروكلمان، المرجع السابق، ص ١٣٨، ٢٣٧.

(٢) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٤٦؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٠.

(٣) بروكلمان، نفسه، ص ٢٣٩.

والاتحاد الخلاص من الوضع السيئ وحالة الظلم الاجتماعي والفساد عن طريق الله سبحانه وتعالى، مما يجعل البعض يتخيل أنه كافر عندما قال الحلاج "سبحاني ما أعظم شأني" فهو هنا يقصد الله سبحانه وتعالى وليس نفسه ؛ لأنه في تلك اللحظة في حالة اتحاد مع الله، أي هو تفسير نفسي وباطني بحث لحالة الحلاج، لعله تأثر بفكر القرامطة الباطني.

لكن هناك طوائف من الصوفية آثرت الانعزال والدروشة بعيداً عن السياسة، مما يجعل النظم العسكرية تلجأ للإسراف في تشييد المنشآت الدينية كالمساجد والخوانق والأربطة ؛ لأنها افتقدت مشروعية التأييد بسبب الظلم وسخط العامة، وهذا هو سبب ميل السلطة لرعاية التصوف خصوصاً في مراحل الدويلات شبه المستقلة السامانية والغزنوية والسلجوقية<sup>(١)</sup>.

ومثلما وجد التصوف عند أهل السنة، كان هناك تصوف شيعي ويسمى بالتصوف العرفاني، لاسيما أن مع تطور أفكار الصوفية نجد تأثرهم بفكرتي التوكل والولاية الشيعيتين، مما أدى إلى امتزاج التصوف الخراساني بالتشيع الموجود آنذاك<sup>(٢)</sup>.

قصاري القول أن مراحل تطور التصوف تأثرت بمدى قدرة الطبقة العامة على مجابهة السلطة العسكرية الإقطاعية إلى أن وصلت الأمور إلى تكريس الإقطاع وعدم العدالة الاجتماعية، فوصل التصوف إلى أدنى مراحل فالتكايأ والزوايا للأكل والشراب بل الانقطاع عن الفرائض بحجة أنهم وصلوا إلى مرحلة الكشف وإسقاط التكاليف، فرسخ هذا التواكل على الله وليس التوكل، مما دعا السلطة لرعايتهم واستخدامهم لقمع معارضيتهم عن طريق وصمهم بالكفر والإلحاد والزندقة، مثلما فعل السلطان محمود الغزنوي والسلطان طغرل بك.

### الكرامية:

وهو مذهب نشأ في خراسان على يد أبي عبد الله محمد بن كرام السجزي

(١) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج ٣، ص ١٠٨

(٢) محمود إسماعيل، آراء ورؤى في الفكر والتاريخ والفن والأدب، ط رؤية القاهرة ٢٠٠٨م،

النيسابوري(ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م) الذي ولد في سجستان، وقد اتهمه خصومه بالتشبيه أو التجسيم ووضع الأحاديث، وقد تعرض للاضطهاد وتم اعتقاله في عهد الطاهريين عندما حبسه "محمد بن طاهر" (٢٤٨-٢٥٩هـ) في نيسابور لمدة ثماني سنوات، لكن لم يكن له نشاط قوي وظاهر في ذلك الوقت<sup>(١)</sup>.

ومن ضمن اعتقادات الكرامية أن الإيمان قول بلا عمل بل بالقلب وهذا يعتبر أساسياً عند المرجئة<sup>(٢)</sup>، وانقسمت الكرامية بخراسان إلى ثلاث فرق وهم: حقائقية و طرائقية وإسحاقية، لكن هذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعض<sup>(٣)</sup>.

وقد ذهب دي بور<sup>(٤)</sup> إلى القول بأن مذهب الكرامية يُعد معارضاً لأفكار المعتزلة التي لا تقول بالتجسيم، بالإضافة إلى أنها ليست كالمعتزلة في حرية الفكر وإطلاق العنان للعقل؛ لذا استمرت إلى ما بعد القرن الرابع الهجري.

لكن بداية الظهور الحقيقي للكرامية على مسرح الحياة السياسية والاجتماعية كانت في نهاية القرن الرابع الهجري، حيث مدينة نيسابور هي مستقر حركة الكرامية<sup>(٥)</sup>، ولاسيما في عهد الدولة الغزنوية حيث علا شأنهم بل أصبحوا من المقربين للسلطان محمود الغزنوي لأسباب سياسية سنتعرض

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٣١؛ صابرياب: الدولة الإسلامية في العصر العباسي قضايا ومواقف، ص ١٤٢  
\* المرجئة: هم حزب سياسي ظهر منذ أيام الدولة الأموية بعد حادثة التحكيم والفتنة الكبرى، فهم لا يكفرون أحداً، وقامت بدورها في التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين، حيث كان موقفهم معارض للخوارج الذين كفروا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد رأس هذه الفرقة "الحارث بن سريج" ت: ١٢٨هـ ( انظر: الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص ١٠٨؛ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج ٢، ص ٩ ).

(٢) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣١

(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٥

(٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط ٣ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م، ص ٩١

(٥) عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شربيه، ط ١ دار الكتاب العربي- القاهرة ١٩٥٣م، ص ١٦

إليها تفصيلاً في الفصل الثالث عند الحديث عن صراع المذاهب في عهد الغزنويين.

ومن الملاحظ أن دعوة محمد بن كرام انتشرت بين العوام والفلاحين من البسطاء، حيث يذكر المقدسي<sup>(١)</sup> أنه كان لهم خوانق كثيرة بخراسان وماوراء النهر، لباسهم رداء من الصوف وفوطه مدلاه على رؤوسهم تحيط بقلنسوة طويلة ثم لبسوا فيما بعد اللون الأزرق، إما لأنه لباس حداد، وإما لأنه يلائم حال قوم فقراء جوالين في البلاد.

ويتضح أن الكرامية كغيرها من الفرق قامت بدافع اجتماعي انجذب إليها الفقراء والبسطاء، للبعد عن الدنيا والتزهّد ومعارضة السلطة بسبب غياب العدالة الاجتماعية، بل جاء عليها فترة استخدمتها السلطة كوسيلة لقمع فرقة أخرى (الشيعية) وهذا ما سيتم الحديث عنه فيما بعد.

---

(٦) البدء والتاريخ، ط. باريز ١٩١٦م، ج٥، ١٤١؛ آدم ميتز: المرجع السابق، ص ١٨ - ١٩